The University of Tehran Press

Arabic Language and Literature

Online ISSN: 2423-6187

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Encountering Madness in the Novel Al-Maristan Written by Mohamed El Gizawy (A Research in the Light of Nietzsche's Thoughts)

Ra'na Abdi[1*] | Majid Saleh Bek[2]

1. Corresponding Author, PhD student in the branch of Arabic language and Literature, Department of Arabic language and literature, Faculty of Arts and foreign languages, Allama Tabatabaei University, Tehran, Iran. Email: r707070a@yahoo.com
2. Associate professor in the branch of Arabic language and Literature, Department of Arabic language and literature, Faculty of Arts and foreign languages, Allama Tabatabaei University, Tehran, Iran. Email: msalehbek@atu.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received February 12, 2024
Revised June 24, 2024
Accepted September 15, 2024
Published online September 18 2024

Keywords:
Nietzsche,
Al-Maristan,
Madness,
Mohamed El Gizawy.

ABSTRACT

Madness is not necessarily a disease. The madness of the new era in the West and the mystical madness in the East are examples of this subject, and Nietzsche, as a person directly involved in madness, has ideas about madness in various fields, including literature. In this research, parts of Nietzsche's ideas were applied to examples from the novel The Al-Martian and the result we came to is that: the phenomenon of insanity in this novel was not a contagious disease, but a voluntary thing that could apply to many people if it appeared. The scope of insanity is wide, and anyone in society can go crazy, and there is no difference between ordinary people and intellectuals. This madness is highly valued, and it is not against reason, therefore it does not require a doctor or treatment, and therefore it can have advocates, and have a message, for those who advocate insanity. In a broader sense, insanity is opposed to politics, because it is not like politics to accept insanity and live with it or live under its light, so in the first step, you think about removing it, and if you cannot, you identify insanity in some circumstance, this circumstance may be the "Al-Maristan". Although this circumstance seems very limited, he may use his abilities to spread insanity on a large scale.

Cite this article: Abdi, R. & Saleh Bek, M. (2024). Encountering Madness in the Novel Al-Maristan Written by Mohamed El Gizawy (A Research in the Light of Nietzsche's Thoughts). *Arabic Language and Literature*. 20 (3), 269-282. Doi: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.371582.1395

© Ra'na Abdi, Majid Saleh Bek **Publisher:** University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.371582.1395

جامعة طهران

مجلة اللغة العربية وآدابها

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٦١٨٧-٢٤٢٣

مواجهة الجنون في رواية المارستان لـ "محمد الجيزاوي"
(دراسةٌ في ضوء أفكار نيتشه)

رعناء عبدي[١*] | مجيد صالح بك[٢]

١. الباحث المسؤول ، طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات الأجنبية ، جامعة العلامة الطباطبائي.
البريد الإلكتروني: r707070a@yahoo.com

٢. أستاذ مشارك في فرع اللغة العربية وآدابها ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات الأجنبية ، جامعة العلامة الطباطبائي. البريد الإلكتروني: msalehbek@atu.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاريخهای مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/١٢
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٤/٠٦/٢٤
تأريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٩/١٥
تأريخ النشر: ٢٠٢٤/٠٩/١٨

الكلمات الرئيسة:
نيتشه ،
المارستان ،
الجنون ،
محمد الجيزاوي.

الملخص

الجنون ليس بالضرورة مرضًا. إن جنون العصر الجديد في الغرب والجنون الصوفي في الشرق ، مثالان يؤكدان هذا الموضوع ، ونيتشه بصفته شخصًا متورطًا في الجنون بشكلٍ مباشرٍ ، لديه أفكار حول الجنون في مختلف المجالات ، منها الأدب. فمن الأمثلة التي ترتبط بهذا الموضوع في الأدب العربي رواية "المارستان" التي كتبها المصري محمد الجيزاوي. ففي هذا البحث ، تم تطبيق أجزاءٍ من أفكار "نيتشه" على أمثلة من رواية المارستان والنتيجة التي توصّلنا إليها هي أن: ظاهرة الجنون في هذه الرواية ، لم تكن مرضًا معديًا ، بل هي أمرٌ إراديٌ يمكن أن يسري إلى كثيرٍ من الناس إن ظهر. والمجنون هو الشخص الذي يريد أن يتجاوز مستوى الشؤون العادية ، وأن يكون أقلّ اهتمامًا بالشؤون الأبولونية المطلقة. فساحة الجنون واسعةٌ ، ويتأتى لأي شخصٍ في المجتمع أن يتعرّض للجنون ، وليس هنالك فرق بين الناس العاديين والمثقفين. المجنون هو الذي يحاول أكثر من أي موضوعٍ آخر مواجهة تشويه الحقائق الدينية والتطرف. الجنون هذا ذو قيمةٍ عاليةٍ ، وهو ليس ضد العقل ، فلذلك لا يتطلب طبيبًا أو علاجًا ، وبالتالي يمكن أن يكون له دعاةٌ ، وأن تكون له رسالةٌ ، وأما الذين يدعون إلى الجنون. فلا يقتصر جنونهم على وجهات فرديةٍ ، بل يمكن أن تكون لهم وجهاتٌ جماعيةٌ أيضًا. وفي مقياسٍ أوسع ، يتعارض الجنون مع السياسة؛ لأن السياسة ليس من طبيعتها قبول الجنون والتعايش معه أو الحياة تحت ضوئه؛ فلذلك في الخطوة الأولى ، تفكّر في إزالته ، وإن لم تستطع ، تقوم بتحديد الجنون في ظرفٍ ما ، قد يمكن أن يكون هذا الظرف هو المارستان. وعلى الرغم من أن هذا الظرف يبدو محدودًا جدًّا ، فمن الممكن أن يستخدم مقدراته لنشر الجنون على نطاقٍ واسعٍ.

العنوان: عبدي ، رعناء و صالح بك ، مجيد (٢٠٢٤). مواجهة الجنون في رواية المارستان لـ "محمد الجيزاوي" (دراسةٌ في ضوء أفكار نيتشه). *مجلة اللغة العربية وآدابها* ، ٢٠ (٣) ٢٦٩-٢٨٢ .

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.371582.1395

© رعناء عبدي ، مجيد صالح بك
الناشر: دار جامعة طهران للنشر
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.371582.1395

المقدمة

أصيب الكثير من المشاهير والأفذاذ عبر التأريخ بالجنون؛ شخصياتٌ معروفةٌ من الشرق والغرب ، ورد ذكرهم في كتبٍ مختلفةٍ من أمثال "كتاب المجانين" لابن حبيب النيسابوري و "تاريخ الجنون" لفوكو. وهم ليسوا قلةً ، وكذلك الأعمال الصادرة لا يمكن الاستهانة بها في هذا المجال؛ أما المهم فهو ليس العدد ، بل المهم هو سلوك وأفكار كل هؤلاء المجانين. لقد عانى جميعهم من نوعٍ من الانفصال عن غالبية الناس ، الأمر الذي سبّب أن يكون لجنونهم تعريفٌ آخر. فمن هذا المنطلق ، يعدّ المجنون الشخص القادر على فهم "ما وراء الخير والشر" وهذه هي الفكرة التي دفعت محمد الجيزاوي إلى كتابة روايته "المارستان" حيث صرّح الجيزاوي بأنّ هذه الفكرة متأثرةٌ بفكرة فريدريك نيتشه ، الفيلسوف الألماني الشهير ، الذي عانى هو نفسه من الجنون في نهاية حياته ، والذي يقوم جوهر فكرته على ثنائية الديونيسية- الأبولونية ، كما نرى في آراء آرثر شوبنهاور (١٧٨٨م- ١٨٦٠م)[1]؛ والكون الذي هو ساحةٌ للنزال بينهما وكلا المصطلحين مأخوذان عن الإغريق وهما ينسبان إلى إلهين: ديونيس[2] (أو البكوس[3]) إله الجنون والخمر والهيجان والرقص والخصوبة عند الإغريق. (اف.اتو ، ١٣٩٨ش ، ١٠٥-١٢٩) وأبولون[4] إله النور والفن. (شفا ، ١٣٨٣ش ، ٣٩- ٤١) والفكرة هذه متجذرةٌ عند نيتشه لدرجةٍ أنه وقّع بعض كتاباته باسم ديونيس.

أسلوب البحث

المنهج المعتمد في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي؛ وقد استخدم هذا المنهج لمقارنة المحاور الفكرية الأكثر أهميةً لنيتشه وذلك من خلال الاستشهاد بالأمثلة الواردة في الكتاب ، وخلص البحث إلى تقديم إجابات على الأسئلة المطروحة ، والتي جاءت على النحو الآتي:

أسئلة البحث

يسعى البحث للإجابة على السؤالين التاليين:

أ- كيف يتبلور الجنون في هذه الرواية بناء على أفكار نيتشه؟

ب- كيف يمكن تفسير العلاقة بين الجنون بمعناه الإيجابي والمارستان الذي يرمز إلى الجنون بمعناه المتداول في هذه الرواية؟

فرضيات البحث

١. يرتبط الجنون في هذه الرواية بأفكار نيتشه في تحقيق رقي الإنسان ، لأنه من المفترض أن يكون سببًا في إنقاذ الإنسان من التكرار ومن قيود المجتمع الإنساني حتى يقود نفسه إلى أمرٍ لم يكن مفهومًا للجميع من قبل.

٢. كأن الجنون بمعناه الإيجابي ، هو ما يعلمه "ديونيس" بصفته سيد نيتشه لإحضاره أخيرًا إلى المنزل الأخير أو المارستان. حيث يمكن للجميع فهم حقيقة الأمور ويمكنهم خرق العادات.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في شرح توظيف الأفكار الفلسفية للكشف عن أعمالٍ أدبيةٍ جديدةٍ غايتها إيقاظ الأمم والشعوب ورفع مستوى العلاقات الفردية- الاجتماعية.

خلفية البحث

جاءت الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع هذا البحث ، والتي تمكنا من الاطلاع عليها ، كما يلي:

1. Arthur Schopenhauer
2. Dionysus
3. Bacchus
4. Apollon

- دانيالي ، عارف وآخرون ، (١٣٩٧ش). "چهره های جنون؛ از فوکو *تا ابن حبیب نیشابوری*" (فحول الجنون ، من فوكو إلى ابن حبيب النيسابوري) ، شناخت ، إيران ، العدد ٧٩ ، ص ٧٥-١٠٧: في هذا المقال ، تمت دراسة آراء ابن حبيب النيسابوري في كتابه كما وردت. فالنيسابوري لا يعتبر الجنون مرضًا ، والجنون في رأيه لم يكن مقابلًا للعقل بل إنه مجرد أسلوب حياةٍ مختلفٍ حيث يستخدم الخطاب الصوفي ضد الخطاب الفلسفي؛ كما عالج المقال أفكار فوكو حول الجنون وكذلك تعليقات نيتشه على الجنون وأخيرًا ، توصل المؤلفون إلى الاختلافات الموجودة بين آراء ابن حبيب وفوكو من خلال دراسة أوجه التشابه الظاهرة.
- محاضرة هوشنكي ، مجيد ، (١٣٩٦ش). في معهد دهخدا تحت عنوان " نيچه، مولوی و جنون عقلاء المجانين" ، (نيتشه ، مولوي وجنون عقلاء المجانين) نشرت هذه المحاضرة في مجلة بخارا ، إيران ، العدد ١٢٢ ، ص ٤٣٠-٤٣٥: وقد عالجت هذه المقالة أبعاد جنون نيتشه ، معتمدةً على العوامل الجسدية والعاطفية والرومانسية ودورها الثانوي في محنة نيتشه.
- بديو ، آلن ، (١٣٩٥ش). نیچه کیست؟ (من هو نيتشه؟) ، ترجمة: حمزة موسوي ، مجلة اطلاعات حكمت و معرفت ، إيران ، العدد ١٠ ، ص ٦٠-٦٣: لا يعتبر المؤلف نيتشه فيلسوفًا فحسب ، بل يعرّفه أيضًا على أنه مناهضٌ للفلسفة (anti-philosophy) ويعتقد أن دولوز وهيدجر لم يفهما رأى نيتشه الرئيسي لأن نيتشه لم يتطلّع إلى وضع قواعد جديدةٍ على العدم. ولم تعد السياسة مقبولةً بالطريقة التقليدية القديمة ، وفي النهاية ، لا ينقذ البشر إلا بالجنون.
- صابر ، زينب؛ ضياء شهابي ، پرویز ، (١٣٩١ش). تبیین جنون در هنر به مثابه رهایی در تلقی نیچه ای فوکو، با تاکید بر نقاشی‌های گیا (تبيين الجنون في الفن كتحريرٍ في رؤية فوكوالنيتشيّ ، بالاعتماد على لوحات رسم غويا) ، شناخت ، إيران ، العدد١/٦٦ ، ص ٤١-٦٤: انتقد فوكو أسسًا للميتافيزيقيا الغربية بعد نيتشه باحثًا عن الجنون في الأعمال الفنية الحديثة. فقد قارن هذا المقال الجنون الفني عند فوكو من المنظور الديونيسي والنيتشيّ في رسم غويا المسمى بـ "دار المجانين" واستخدام النتيجة للخلاص من هيمنة السلطة.
- يانغ ، جوليان ، (١٣٧٨ش)." پیش‌جنون نیچه‌ای" (مقدمة الجنون النيتشي) ، ترجمة: حميد إسلامي ، سوره انديشه ، إيران ، العدد ٧٥ ، ص ٧٦-٨٣: يوضح الكاتب بأن أفكار نيتشه ، خاصةً في الفن ، متأثرةٌ بأفكار شوبنهاور في بناء أسسه الميتافيزيقية. وفي النهاية ، أثبت الكاتب بأن هذه النظرة نتيجة وجود أوجه التشابه الفكري.
- الملواني ، مصطفى ، (٢٠١٧م). *نقد رواية "المارستان"* ، موقع ساسة بوست ، مصر ، 08 00:23 مارس (https://www.sasapost.com/opinion/marestan-2/): في هذا المقال القصير ، يقدم الكاتب الرواية ويشرح سمات بعض شخصياتها من الناحية النفسية.
- مصطفى ، إيهاب ، (٢٠١٨م)." *المارستان.. حين يكون الجنون تأويلا حتميا للعقل*" ، جريدة الدستور ، مصر ، الإثنين ٣٠ /يوليه /٢٠١٨م - ٠٥:٢٥: (https://www.dostor.org/2268255): في هذا المقال ، يقدم المؤلف تفسيرات حول لغة الرواية ونوع الراوي وحالات الشخصية وموضوع الجنون.
- فايز ، سامح ، (٢٠١٩م). "المارستان.. *عندما يصبح العقلاء استثناء على القاعدة*" ، منصة الاستقلال الثقافية ، فلسطين ، ٢٠١٩/٠٥/٣٠م ، (https://dipc.ps/page-812.html): في هذا المقال ، يصف الكاتب أحداث الرواية ويشرح كيف تبدأ الرواية بجنون رجلٍ اسمه رسول وما هي الظروف المؤاتية التي يستطيع الطبيب أن يعالج شخصيات الرواية من خلالها.

كما رأينا هناك العديد من البحوث حول آراء نيتشه وموضوع الجنون. ففي هذه الأبحاث ، يحاول الباحثون الكشف عن خبايا أفكار نيتشه بطريقةٍ واضحةٍ ومفهومةٍ. غير أنّ كثيرًا من هذه الأبحاث لم تدرس آراء نيتشه إلا بشكلٍ نظريٍ ، وفي الحالات التي تم البحث فيها عن الجانب التطبيقي ، فهي لم تكن في مضمار مؤلفات الجيزاوي بصورةٍ عامةٍ ، ورواية المارستان بصورةٍ خاصةٍ. فالبحث هذا ، يركز على عدة نقاطٍ رئيسيةٍ تطبيقيةٍ مأخوذةٍ من أفكار نيتشه والاستشهاد بأمثلةٍ

من الرواية. فعلى سبيل المثال ، في فهم المعنى الحقيقي للجنون ، تؤخذ أفكار نيتشه على النحو التالي: "...فالجنون عنده ليس "خللًا عقليًّا" ، بل هو "عدم تعقل". إنّه فقط رفضٌ لاتّباع القواعد. غايةُ الفارق عنده بين العقل والجنون ، كالفارق بين استخدامكَ أدواتِ المائدة ، أو الأكل بيديك! فكلُّ ما فعله هؤلاء في نظرِه ، أنّهم وضعوا الشوكة والسكين جانبًا. بينما تقيَّدنا بآداب المائدة ولم نستمتع بالطعام!"(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢١٤) فإذن في هذا المقال ، نحاول أن نكتشف كيف استخدم هيدجر هذا المثال في كتابه لوصف أفكار نيتشه ، وكيف استخدمه الجيزاوي في رواية المارستان.

نبذةٌ عن محمد الجيزاوي

ولد في مصر عام ١٩٧٨م وهو من خريجي جامعة القاهرة في فرع الفلسفة. له كتبٌ ، منها "المخلصون يرحلون غائبا" (٢٠١١م) ، "سر العابر" (٢٠١٣م) ، "الخمر ما عادت تسكر أحدا"(٢٠١٥م) وهذا الكتاب كان أكثر نجاحًا من بين كتبه حتى الوقت الحاضر وله طبعاتٌ مختلفةٌ ، "المارستان" (٢٠١٦م) و"الدم والحليب" (٢٠٢٠م) وأعماله الأدبية كلها- كما أشرنا- ذات طابعٍ فلسفيٍ.

عن رواية المارستان

هذه الرواية نصٌ مأخوذٌ من مسرحية "المارستان" لـ "محمد حمزة علي" التي تمّ عرضها في مصر. بعد ذلك ، كتب الروائي المصري ، محمد الجيزاوي ، روايته بنفس الاسم بعد عرضها ولهذه الرواية شخصياتٌ كثيرةٌ. فشخصياتها الرئيسة ، هي: "رسول" ، "دميان" ، "سماع" ،" براءة" ، "لبيب" ، الطبيب الشاب والدكتور "ناصف". ولكن الرواية لا تتعلق بهذه الشخصيات فحسب بل تشمل شيئًا فشيئًا جميع سكان المدينة ورجال الحكومة. بسبب تفشّي الجنون الذي يصيب الكثير من الناس حيث يؤدي بهم إلى المارستان. يبحث الدكتور ناصف والطبيب الشاب في المارستان عن سبب الجنون وعلاج المرضى. كان أولهم رسول. فهو عندما كان مسافرًا ، بدأ يتشائم ويشكّ بزوجته من خلال حواره الهاتفي مع زوجته ، ولكنه قبل أن يصل إلى المنزل ، كانت زوجته قد ماتت. إلا أن رسول ادعى أن سرير زوجته تحدث معه وأخبره بتفاصيل خيانتها ، حيث أخرج رسول جثة زوجته من القبر وأشعل فيها النار وصار المجنون الأول وكلّ من سمع قصة رسول أصبح مجنونًا. والمجنون الثاني هو "دميان" ، موظف أمنٍ في الفندق. يدّعي دميان أن يسوع اختاره وحل فيه ليكون دميان اليسوع الثاني وذهب إلى الكنيسة ليخبر الجميع بهذا الأمر لكنه نقل إلى المارستان. والشخصية الثالثة هي بنتٌ اسمها سماع ، اكتشفت خيانة والدتها وجارٌ لهم ، فقتلت جميع أفراد الأسرة والجار ،ودخلت المارستان. والشخصية الرابعة هي فتاةٌ تُدعى براءة ، ولدت في أسرةٍ فقيرةٍ؛ لم يهتم والدها إلا بشقيقها ولم تفكر والدتها في هذه الفتاة أيضًا. وبعد أن اغتصبها ابن الجار وكانت هي في التاسعة من عمرها ، لم تحظ بدعم والدها وبعده استمر ابن الجار وأبوه في ذلك. فكان لهذا الإهمال نتائجٌ سلبيةٌ على الفتاة حيث أصبحت براءة المجنونة الأخرى. ولبيب ، صاحب الفندق- الذي يعرف دميان- أخبر الطبيب بقصصٍ سمعها وأنه في نهاية الأمر ، أصبح مجنونًا أيضًا واكتملت المجموعة الأولى من المجانين. والحكومة بذلت في الظاهر بعض الجهود لعلاج الجنون ووقف انتشار الجنون لكنّها لم تستطع ، لذلك حاولت أن تبيع تذاكر المارستان غير أنّ الدكتور ناصف خالف هذا العمل وانتقد الحكومة بسبب محاولتها كسب المال عن طريق المجانين ، وعن طريق عرضهم في المارستان مثل حديقة الحيوانات ، مطالباً معالجة المرضى بطريقةٍ جذريةٍ. (الجيزاوي ، ٢٠١٦م: ١- ٢٨٧)

ففي هذه الرواية ، تعدّ العوامل النفسية مثل قلّة الانتباه ، الخيانة وقلّة الحب وما إلى ذلك ، من أسباب إصابة الناس بالجنون. حيث تظهر أبعاد الجنون أيضًا فيما يتعلق بالمرأة والرجل ، والفرد والمجتمع ، والشعب والحكومة بحيث يكوّن للقارئ إمكانية تحليل الجنون من الوجوه المختلفة.

جنون نيتشه (١٨٤٤م - ١٩٠٠م)

الألماني ، فريدريك نيتشه ، كان أستاذًا في الجامعة. وهو يعمل في مبغىً بكلن أيضًا. أصيب نيتشه بمرض "الزهري أو السفلس" المتفشّي في أواخر القرن التاسع عشر وهوما يعادل الإيدز في العصر الجديد. وفي نهاية حياته أصيب بالجنون.

يذكر صديقه "ريتشارد فاجنر[1]" سببًا آخر لجنون نيتشه ، غير أنّ أخت نيتشه تصرّ على أنه أصيب بالجنون بسبب الإرهاق العقلي الناجم عن العمل الفكري الكثير وكانت هي تحاول إخفاء الحقائق الطبية حول أخيها. (كريتشلي ، ١٣٩١ش ، ٢٧١- ٢٧٣)

كما جاء سالفًا ، أفكار نيتشه هي قائمةٌ على الثنائية الديونيسية والأبولونية وتم تشكيل وجهة النظر هذه لنيتشه من خلال دراسة الثقافة اليونانية التي اعتبرت الحياة صعبةً ، لكنهم لم يستسلموا لها. فقد سهّلوا الحياة بمساعدة الفن وكانت لهم طريقتان: أبولونية وديونيسية. وفقًا للطريقة الأبولونية ، يتم إلقاء ستارةٍ جميلةٍ على الوجه القبيح للحياة؛ ووفقًا للطريقة الديونيسية ، يتم قبول الحقيقة بوجهها القبيح ، وفي رأي نيتشه ، فإن الثقافة الفضلى هي مزيجٌ من قبول الداخل والباطن ، وكلاهما يعتبران جميلين. (نيتشه ، ٢٠٠٨م) وعلى الرغم من أن هذا هو الرأي الرئيسي لنيتشه ، يبدو أن رغبة نيتشه في الطريقة الديونيسية أكبر ، لأنها تتجاوزالحدود العقلانية وهي مسرحٌ للخلاص والحرية ، والشخص المحاط بها ، فيتجاوز عن مستوى القواعد العقلية ويصاب بالجنون. (مك دنيل ، ١٣٧٩ش ، ١٨) ويعتبر التغيير المستمر والتحول من أهم مكونات الطريقة الديونيسية كما يشرحه النقاد: "يستحيل على الديونيسي ألا ينتهز أدنى اقتراحٍ- إنه لا يدع أية إشارةٍ من التأثرية تمر ، إنه يملك أعلى مستوى من غريزة الفهم والتخمين مثلما يملك فن التواصل في أعلى مراتبه ، إنه يلج أي جلدٍ ، أي انفعالٍ: لا يكف عن التحول." (نيتشه ، ١٩٩٦م ، ٨٦) وجنون نيتشه كما يفسره فوكو ، هو حدٌّ بين العلم والجهل ، و"إن صرخة نيتشه الأخيرة وهو يعلن نفسه في الوقت ذاته مسيحا وديونيس ، لم تكن بمحاذاة العقل واللاعقل ، ولا في نقطةٍ عندها تنتهي كل خيوط العمل ، لقد تحقق أخيرًا حلمهم المشترك ، ولكنه سرعان ما اختفى ولا مصالحة «بين رعاة أركادي وصيادي تيبيرياد» بل هو الاندثار الكلي للعمل ، الاندثار الذي يصبح العمل انطلاقًا منه أمرًا مستحيلًا ، وحيث يجب اللوذ بالصمت ، لقد سقطت المطرقة من يد الفيلسوف. " (فوكو ، ٢٠٠٦م ، ٥٣٨)

أصبح جنون نيتشه في نهاية حياته ، موضوعًا للعديد من الدراسات ، التي يمكن تقسيمها إلى أربع فئاتٍ عامةٍ: ١. جنون العصر الحديث ، ٢. الجنون الدماغي ، ٣. الجنون البشري المأساوي ، ٤. الجنون الصوفي. (هوشنكي ، ١٣٩٦ش ، ٤٣١ و٤٣٢) طور نيتشه أفكاره خطوةً خطوةً في أثناء المرور بفتراتٍ مختلفةٍ من الحوادث والأمراض حتى اختبر الجنون في نهاية المطاف. ناقش نيتشه طوال حياته مواضيع مثل الفن ، والثقافة ، والميتافيزيقيا ، والأخلاق ، والإنسان الأعلى ، والعدمية ، والعودة الأبدية ، والسلطة. وعلى الرغم من أن شرح هذه المفاهيم يعدّ خارجًا عن نطاق هذا المقال ، لكننا سنعالجها إذا لزم الأمر ، وإذا تم اكتشاف العلاقة حول كلٍ من هذه المفاهيم بأمثلة الجنون في الرواية وباستخدام أفكار نيتشه. لقد لخص الجيزاوي الجنون في روايته في هذه المحاور العامة: المعنى الحقيقي للجنون وعلاقته بالعقل ، ماهية الجنون وإرادته ، العلاقة بين الجنون والطب النفساني ، الجنون والدين ، الجنون والسياسة.

الجنون في رواية المارستان

تعالج رواية المارستان – كما هو معلومٌ من اسمها- الجنون وتأثر كاتبها بنيتشه ، ويمكن عدّ أفكارها ودراسة مكوناتها كما يلي:

المعنى الحقيقي للجنون وعلاقته بالعقل

الجيزاوي يعدّ الجنون إرادةً ، أي: أن الجنون ليس هو مرضٌ يحدث لشخصٍ ما أو يصاب به ، بل الشخص هو الذي يقرر بنفسه أن يكون مجنونًا: "الجنونِ إرادة. أصبحَ الأمرُ متروكًا لكلِّ شخص. فمن شاءَ عقلَ. ومن شاءَ جُنّ." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٩٣) أو بتعبير آخر من الكاتب: "كان واضحًا للجميع أنه قرارٌ بمعاقبة الجنون ، كما كان واضحًا أنَّ القرار لا رجعة فيه." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢٥٠) المجنون حسب تعريف الجيزاوي إنسانٌ مختلفٌ. لأن لديه القدرة على اتخاذ القرارات ويمكنه التصرف بشكلٍ مستقلٍ وليس كأسيرٍ للعادة ولكنه لا يستطيع أن يرجع ويترك القرار. يمكن أن تكون هذه العبارات

1. Richard Wagner

(١٨١٣م – ١٨٨٣م): صديق نيتشه ومن أشهر مؤلفي الموسيقى وكتّاب المسرح. انكدرت العلاقات بينه وبين نيتشه. (زكريا ، ٢٠١٧م ، ١٣-١٧)

سبب رقي المجنون. المجنون يتجاوز مستوى معيشته ويفهم شيئًا لم يفهمه من قبل ، فسيكون مذهولًا غرق في الصمت. هو سيكتشف تدريجيًا أن جنونه (اقرأ: تصرفه ضد العادة) قد يسوق إلى الصمت ، لأن: "الصمت هو الحقيقة الوحيدة في حضرة الجنون!" (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢٠٨) إذا كان الصمت حقيقة الجنون ، فإن هذه الجملة في الرواية تحتاج إلى تأملٍ أكثر: "لقد قرَّرَ أن يكون مجنونًا ونجح. ومنَحَه الجنونُ الراحةَ التي كان يبحث عنها طيلة سنوات." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٤١) بمعنى أن الجنون والصمت والراحة معًا تكون شيئًا ما ، يمكن أن ينجذب إليها كل شخصٍ. هذا هو الذي يتم فيه الكشف عن معنى فعل (قَرَّرَ). في الحقيقة ، يبدو: لماذا يميل الناس إلى الجنون؟ إنهم يسعون إلى الراحة التي لا يجدونها في حياتهم الفردية والجماعية. ولكن لماذا يتبع الآخرون هذا النوع من الجنون؟ هذا هو السؤال الذي يجيب عنه نيتشه: "هيّا! إلى الأمام إذًا أيها الناس الراقون! الآن فقط سيتمخّض جبل المستقبل الإنساني عن مولوده الجديد. إن الله قد مات؛ والآن نريد- أن يحيا الإنسان الأعلى." (نيتشه ، ٢٠٠٧م ، ٥٣٠) ثم يستمر ويشرح سبب أهمية هذا الإنسان الأعلى: "لترتفعوا فوق فضائلهم الصغيرة وشطاراتهم الصغيرة وحبّات رمل المراعاة وشؤون عَجَاج النمل والارتياح البائس و «سعادة عموم الناس».!" (نيتشه ، ٢٠٠٧م ، ٥٣١) أي: التجاوز عن كل شيءٍ في العالم.. عندما يعرف رجلٌ مجنونٌ / راقي الطريق إلى التعالى ، فمن الطبيعي أن يتبعه الناس. لكن يطرح سؤالٌ آخر: هل يقع الأساتذة والمثقفون في هذا النوع من الجنون فحسب أو يمكن لأي إنسانٍ أن يقع فيه؟ "حتّى أكبرُ أساتذتنا الذي لجأتُ إليه وأنا أظن أنَّ النجاة قد تكون على يديه ، وجدتُه يقف مصفّقًا للمجانين ، ويرى أنَّ جنونَهم هو بذاته النجاة."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٨٢ و٨٣) لذلك ، حتى أساتذة الجامعات والمتعلمين يحتاجون إلى الجنون ليجدوا طريق السعادة والخلاص. لأن طبيعة هذا الجنون هي الخلاص في حد ذاتها. بغضّ النظر عن هذا ، هاجم نيتشه مرارًا وتكرارًا أساتذة الجامعات والنظام التعليمي وانفصل عن هذا النظام وقال أقسى الكلمات عنهم حتى كتب أخيرًا كتابه "ضد التعليم". فلهذا السبب ، من الطبيعي أن الحكمة / الجنون الذي يرغب فيه نيتشه والجيزاوي لا يقتصران أبدًا على شريحةٍ اجتماعيةٍ معينةٍ ، حيث يحتاج أصحاب هذه المواقف أيضًا إلى البحث عن المعرفة الحقيقية. إذا لم يكن المثقف نفس المجنون فمن هو إذن؟ هل هو من ترك العقل؟ "فالجنون عنده [الدكتور ناصف] ليس "خللًا عقليًّا" ، بل هو "عدم تعقل". إنّه فقط رفضٌ لاتّباع القواعد. غايةُ الفارق عنده ، بين العقل والجنون ، كالفارق بين استخدامكَ لأدواتِ المائدة ، أو الأكل بيديك! فكلُّ ما فعله هؤلاء في نظرِه ، أنّهم وضعوا الشوكة والسكين جانبًا. بينما تقيَّدنا بآداب المائدة ولم نستمتع بالطعام!"(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢٤١) الجيزاوي لا يرى فرقًا بين العقل والجنون. في المثال الذي قدمه ، لا فرق بين الأكل بالملعقة والشوكة أو باليد؛ لأن الطعام يؤكل بأيّة حالٍ من الأحوال ، لكن التقيّد بآداب المائدة ، يسلب الإنسان لذة الأكل. بالطبع ، هناك قليلٌ من الشك في مثال الجيزاوي هذا. ومع ذلك ، تجدر الإشارة إلى أن الجوع هو الذي يدفع البشر وبحسب رأي هيدجر "الجوع صراعٌ أو إكراهٌ أو حالة طوارئ بحتة. حالة الطوارئ تتعلق بالطعام ومن أجله. لا يتخيل الموجود الطعام لأنه طعامٌ ، ولا يبحث عنه لأنه غذاءٌ. هذا الكفاح لا يعرف ما يشاء أو ما يريد ، لأنه في الأساس لا يريد." (هايدگر ، ١٣٨٨ش ، ج١ ، ٨٩) ويمكن القول عندما دعا نيتشه ديونيس ، وقدم نفسه على أنه تلميذه (نيتشه ، ٢٠٠٣م ، ٢٧٨- ٢٨٠) ، فإن هذا التمرد هو نتاج اتباعه للأستاذ واكتشافه قوةً تتجاوز قوة الجسم البشري ، هذا هو الشيء الذي يظهره المجنون ضد قواعد ونظام العالم البشري. القوانين في صيغتها المجردة والنقية ، لها في نهاية المطاف تأثيرٌ مدمرٌ؛ القوانين هي حيةٌ وحقيقيةٌ فقط عندما يسنها المشرعون المبدعون. (ياسبرس ، ١٣٨٣ش ، ٤٣٤)

ماهية الجنون وإرادته

إن الجنون الذي يمدحه نيتشه يتشكل إلى حدٍ بعيدٍ في مواجهة التشوهات والتطرفات الدينية (انظر: نيتشه ، ٢٠١٤م ، ١٢٨) ، وهذا الجنون لا يفترض أن يضر المجتمع ثم يعيد بنائه مرةً أخرى ، لكن من المتوقع أن يكون قادرًا على هداية جميع أفراد المجتمع واحدًا تلو الآخر. يجب أن يتحسن الشخص ويتقدم خطوةً بعد خطوة ليكون فعالًا. لهذا السبب فإن جوهر الجنون منفصلٌ عن المرض ولا ينتقل مثله: "الأمر لم يكن وباءٌ. لا يمكن تسميته بهذا الاسم بأيِّ حالٍ ، فهو ليس عدوى تنتقل من شخصٍ لآخر عبر الملامسة أو عطسةٍ في الوجه أو مضاجعةٍ فوق سرير. الأمرُ كان قرارًا محضًا كما قال الطبيب الكبير" ، أو

كما يراه البعض قدرٌ أعمى ، أو حتّى لعنةٌ كما قال رجالُ الربِّ! ولم يكن له في بدايته أثرٌ ملموس لا بخيرٍ ولا بشرّ على سير الحياة. فلم ينهَر الاقتصاد ، ولا عمَّت الفوضى ، ولا تعطّلت المدن ، ولا حتى تأثّرت أيُّ مؤسَّسة بما يحدُث أو لنقُل بما يُقال."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٥) هناك فئتان من الناس في عصرنا الحالي على أساس النص: فئةٌ مجنونةٌ في هذه الرواية تحاول التخلص من القيود المفروضة دون جدوى ، لأنها أدركت عدم صحتها قبل الآخرين ، فعليها تحمل آلامٍ شرحتها للآخرين؛ وفئةٌ أخرى ، هم أولئك الذين يخلصون لهذه الظروف ويجعلونها في قمة أعمالهم. على كل حالٍ ، المواجهة بين الناس حتميةٌ وصورتها مختلفةٌ ، والإنسان معرضٌ للضرر ، وهذا ما اكتشفه المؤلف من كلام نيتشه: "من يتخلى عن التقاليد يكون ضحية لمفاجآت اللا معتاد؛ ومن يظل وفيًا للتقاليد يكون عبدًا لها. وفي كلتا الحالتَين يمضي المرء إلى حتفه." (نيتشه ، ٢٠١٤م ، ٣٦٠) إن الجنون يربط اللآلئ المصقولة الواحد تلو الآخر كخيطٍ ويخلق قواسم مشتركةً بين جميع الأشخاص: "ثمَّةَ يقينٌ لديَّ أن لهؤلاء المجانين جميعًا خيطٌ يربطهم ، أو ربّما فكرة تجمعُهم ، رغم معرفتي أنَّ هذا القول لا يخلُو من خطأٍ منطقي ، لكنَّ تشابُه حالهم عجيب ، إنهم جميعًا متوحّدون بشكلٍ كامل داخلَ أنفسهم ، معزولون عن العالم ، يحمون حدودهم بسياجٍ من الجنون الذي لا يمكن اختراقُه ، ويقيمون حائطَ سدٍّ منيعٍ يحميهم من كلِّ ما يمكن أن يأتيهم من الخارج ، هذا جوهرُ جنونهم"(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٥١) لكن لماذا يلجأ المجانين إلى الجنون ويتصرفون كحلفاء؟ يجيب فوكو - بينما يجد العلاقة بين الجنون والمسيحية عميقةً- عن هذا السؤال ، قائلًا: "المسيح ذاته لم يكن يستهويه أن يكون محاطا بالمعتوهين ، بل أراد أن ينظر إليه الآخرون على أنه مجنون. وبهذا سيكون بإمكانه الاطلاع ، وهو في حالته تلك ، على كل أشكال بؤس الإنسانية المنحطة. إن الجنون ، استناداً إلى هذا ، سيصبح الشكل النهائي ، الدرجة القصوى «للرب المجسد في الإنسان» ، قبل تحقق الصليب وخلاصه." (فوكو ، ٢٠٠٦م ، ١٧٧) إلى جانب ذلك ، يحمي المجانين أنفسهم بحواجز قويةً من الجنون ويجعلون الجنون غير قابل للاختراق. لأنهم أصبحوا عبيدًا يريدون أن يكبروا . وللنموّ ، "تحتاج أخلاق العبيد دائمًا وأولًا إلى عالم مضادّ وعالم خارجي ، [...] ، هي تحتاج عمومًا إلى مثيرات خارجية لكي تفعل- إنّ فعلها هو بالأساس ردّة فعل." (انظر: نيتشه ، ٢٠١٠م ، ٥٩) وهذا السياج هو ما يجعل مفهوم "العالم الخارجي المعادي" حقيقةً. وفي هذا الوقت الذي انهم يفوزون في خلق هذا العالم الخارجي المعادي ، فمن الطبيعي أن تستمر مقاومتهم: "المجاذ ن يتمسّكون بجنونِهم في مواجهة كلِّ علاج ، إنهم يقاومون بالجنون. وكأنَّ هذا الخلل ، أصبحَ هو شغفَهم بالحياة."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢٠٥) ولكن لماذا يعدّ استمرار هذه المقاومة شغف حياتهم؟ ربما يحبون أن يكونوا قدوةً ،فوفقًا لهذا "مَن يريد أن يكون مثالاً للآخرين ، عليه أن يضيف حبة حمق إلى فضيلته؛ عندها سيكون هناك من يحاكيه ويسعى للتفوق عليه في ذات اللحظة؛ - ذلك هو ما يحبه الناس." (نيتشه ، ٢٠١٤م ، ٣٦٢) مع أن شخصيات هذه الرواية ، أضافت على نفسها أكثر من القليل من الجنون ، وقد بالغت فيه لدرجةٍ ذُكر مرتين في النص بوضوح أن هذا الجنون مزيفٌ ، ففي الحالة الأولى ، يشهد الطبيب في المحكمة وأمام القاضي على زيف هذا الجنون مما يرفع من مصداقيته: الطبيب الكبير أمام القاضي: "سيدي القاضي.. قد أوضحتُ ما توصَّلتُ إليه: هذا الرجلُ ليسَ مجنونًا بالمعنى الدارج ، لكنَّه قرَّرَ أن يكونَ مجنونًا ، ونجح." (الجيزاوي ، 2016م ، 9) في بداية الرواية ، هذه الشهادة التي قدمها الطبيب عن شخصٍ واحدٍ فقط أي رسول ، يعطيها المؤلف عن كل إنسانٍ في نهاية الرواية ، ليبين للجميع كيف يمكن تحويل الإرادة الفردية إلى إرادة جماعية: "باتت كلُّ وسائل المارستان عاجزة أمامَ إرادةِ إنسانٍ ، قرّرَ أن يكون مجنونًا ، ونجح."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٩١) كما يشرحها هيدجر أيضًا ، الإرادة هي نوعٌ من الرغبة والصراع. الإرادة هي الأوامر. هناك فكرةٌ مستورةٌ في الإرادة ، وإذا أردنا الاقتراب من إرادة نيتشه والبقاء عليه ، يجب أن نبتعد عن أي مفهومٍ ، سواءً أ كان مثاليًا أو غير مثاليٍ ، أو عاطفيًا ، أو بيولوجيًا ، أو عقلانيًا أو غير عقلانيٍ. (هايدگر ، ١٣٨٨ش ، ج١ ، ٩٢-٩٤) هذا سيكون سبب النجاح.

العلاقة بين الجنون والطب النفساني

مع أنّ التطورات متزايدةٌ باستمرارٍ ، لا يزال العلم عاجزًا عن تلبية العديد من الاحتياجات البشرية. الطب النفسي ، باعتباره فرعًا من فروع العلوم الإنسانية ، ليس استثناءً من هذه القاعدة: "أقصى ما نصل إليه هو تحويلُ المجنون إلى

شخصٍ يبدو هادئًا ، لكن هيئَته الخارجيّة لا تعني أنَّ داخلَه أصبحَ هادئًا أيضًا ، فعالم الجنون محكمُ الإغلاق ، ومهما بلغْنَا من التطور في علوم النفس ، لا زالت تلك الأرض تنمو فيها الحشائشُ الغريبة رغما عنّا."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٣ و ١٤) لا يملك علم النفس إمكانية السيطرة الكاملة على الإنسان ولا يمكنه تحقيق ذلك. هذا المقال هو تأكيدٌ لآراء نيتشه في الرواية. في رأيه ، العقل والمنطق ليسا معيارين جيدين والحقائق العلمية لن يكون لها مكانٌ أيضًا؛ لأن العلم لا يمكن أن يقودنا أبدًا إلى حقائق موضوعيةٍ؛ لأن هذه الحقائق من حيث المبدأ غير موجودةٍ خارجيًا. (رابينسن ، ١٣٩٠ش: ١٤-١٧) كما يؤكده الطبيب الشاب مرةً أخرى: "فأنا غير مقتنع بالطريقة التي تتّبعها المصحات العقلية للتعامل مع الأمر ، فهم يتعاملون مع كلِّ مريض بشكلٍ فردي ، وبوصفه مجرَّدَ مريضٍ عقلي.. إنَّ هذا الذي تفعله المصحّات جنونٌ بحدّ ذاته ، فنحن لا نتعامل مع مرضى ، بل مع مرض. ولم يعد علينا فَهمُ المجانين ، بل الجنون ذاته." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢٠٥) طبيب رواية الجيزاوي ، لا يطرح أيّ ادعاءٍ حول سلبية جنون الشخصيات في الرواية ، بل على العكس ، حتى في وصف ماهية الجنون ، فهو ينسب السلبيات إلى الأشخاص غير المجانين ، حتى نفسه. لأن الجنون له أبعادٌ غير معروفةٍ لم يستوعبها علم النفس والأطباء بعدُ: الطبيب الشاب: "إنهم مثلنا تمامًا ، والفارقُ الوحيد أنَّ بذرتَهم قد نبتَت ، وبذرتنا لازالت لا تجد الماءَ في أرض الروح. كلّما نظرتُ إلى الأسوياء منّا ، والذين لا يتميّز سَواءُهم إلّا بأنّهم يفعلون أشياءَ نتّفقُ عليها ، ونقبل بها ، أدركتُ أنّنا جميعًا نحتمل بذرة الجنون ، وأنَّ الحكمةَ أمرٌ عابر وأنَّ الأصلَ المستقرّ فينا هو الجنون. [...] أنَّ بعضنا اعترفوا بهذا بشجاعةٍ مدهشة فأعلنوا عن جنونهم ، بينما أكثرُنا لازال يخدع نفسه ، ويخفي جنونَه ، وسط غابةٍ متشابكة من قواعد المجتمع."(الجيزاوي ، ٢٠١٦ ، ٥٢) مع أن نيتشه يتحدث عن خطر الأطباء ويعتقد: "يجب أن نكون قد خُلقنا لطبيبنا ، وإلا فإنه في طبيبنا يكون هلاكنا." (نيتشه ، ٢٠١٤م ، ٣٦٥) ولكن يبدو أن الشخصيات الرئيسة في هذه الرواية يجب أن تطلب المساعدة من طبيبها لإنقاذ أنفسها؛ لأنهم كانوا قادرين على معرفة مقدار ما تحتاج أنفسهم وغيرهم من الأشخاص غير المجانين لمعاينة أنفسهم وأن الأشخاص المجانين هم الذين يساعدون غير المجانين. لأن "يتحصن الإنسان جيدا ضد نفسه ، وضد كل أنواع التقصي والمحاصرة التي يجريها على نفسه ، ولا يستطيع أن يرى من نفسه عادة غير ما تمنحه لعينه أعماله الخارجية. أما القلعة الحقيقية فتظل مستعصية عليه ، بل غير مرئية لعينه... ." (نيتشه ، ٢٠١٤م ، ٣٤٦) الأشخاص غير المجانين يخدعون أنفسهم كل يومٍ ، وإذا لم يملهم المجانين ، فلن يتم الكشف عن طرق الخلاص السرية لهم. إضافةً إلى ذلك ، يتحدث الجيزاوي عن حقيقةٍ تاريخيةٍ كانت تستخدم في إدارة المستشفيات العامة لعلاج المجانين في بداية تأسيس المارستان: "الحقيقة التي أصبحتُ قريبًا من تصديقها أنَّ الجنون ليس بعيدًا عن أيٍ منّا ، ولهذا نحبس هؤلاء هنا خشيةَ أن نرى وجوهَنا في مرايا جنونهم ، فعزلناهُم عنّا ، لا لنشفيهم ، لكن خوفًا من غوايةِ جنونهم... نحن نحتقر ُالجنونَ ونفزعُ منه ، بذاتِ القدر الذي يسيطر علينا الإعجابُ بالمجانين لفوزِهم بتلكَ الحريّة المرعبة في فِعل كلِّ شيء يريدونه.. فحبسناهم ههنا ، حتّى لا نرى فزعة المصير ، أو نفكّر في روعة التحرّر.. لعله لذلك كان إنشاء مصحات المجانين قرارًا سياسيًا منذ أقدمِ مصحّةٍ في التاريخ ، فالدولةُ تخشى انتشارَ الجنونِ الحرّ."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٥٣) يعدّ فوكو أن السبب الرئيس هو مشكلةٌ سياسيةٌ ، وبالنسبة للعلاج ، يشرح طريقة عمل الأشخاص مثل ساميول توك (١٦١٥م- ١٦٧٤م)[1] وبينال (١٧٤٥م- ١٨٢٦م)[2] في إدارة المستشفيات العامة حيث حاولوا عدم إبعاد المجانين عن العالم؛ لكن في نفس الوقت ، يجب أن يسود التجانس بين الأخلاق في البيئة ، وتتكون هذه الطريقة من ثلاثة عناصر: ١. الصمت ، ٢. الاعتراف أمام المرآة ، و٣. المحاكمة الأبدية. في الصمت ، يُترك المريض الذي ظن أنه المسيح وحده مع حقيقةٍ لم يعترف بها الآخرون. في المرآة ، تمت دعوة المجنون لمشاهدة الجنون وعلم أنه تعرض لنظرات الآخرين. رأى نفسه وكان يراقبه بنفسه. ساعد هذا النوع من الرؤية الشبيهة بالمرآة إزالة الوهم. في المحاكة الأبدية ، بغض النظر عن هذه الحقيقة: أن المجنون كان يحكم على نفسه في الصمت وفي المرآة ، كانت هناك أيضًا محكمةٌ صغيرة الحجم ومخيفة المظهر استدعت المجنون واستجوبته. اضطر المجنون إلى قبول حكم المحكمة ويعترف بخطئه وبهذه الطريقة يتغلب على خوفه للتخلص من أفكاره المضطربة. (فوكو، ٢٠٠٦م ،

1. Sir Samuel Tuke
2. Philippe Pinel

٥٠١- ٥٠٧) يشير الجيزاوي إلى العلاج في أثناء الرؤية أمام المرآة ويظهر لرجل العصر الحالي كيف هو موهومٌ ولا يفهمه. نفس هذا الشخص يهين المجنون ويعزله حتى لا يرى نفسه في مرآته. أخيرًا ، في تأصيله عن الجنون ، يعدّ هذا القرار سياسيًا ولا طبيًا ولهذا الطب النفسي لا يجد العلاج: "ماذا صنعَ الطبُّ النفسي هنا؟ إنَّ كلَّ ما نتّبعه من وسائل باتَ بلا فائدة ولا نتيجة ، لم يتحسن مريض واحد ، فضلاً عن أن يصل إلى الشفاء." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٢٠٥) ويقول: إن مجموعةً واسعةً من الناس تهرب من علاج المرآة وهذه الأغلبية تقيد الأقلية المجنونة لتبرير نفسها.

الجنون والدين

نيتشه نفسه كان له أسلافٌ قسيسون. وهو كان يرفض أناسًا مثل القسيس بولس. (ياسبرس ، ١٣٨٨ش ، ٩٥) لكن كما يعتقد البعض ، لم تكن لديه نظرةٌ سلبيةٌ تمامًا عن الناس والرسل. بعض الناس لديهم فكرةٌ خاطئةٌ عنه. (كابلستن ، ١٣٨٨ش ، ٣٠٥ و٣٠٦) كما للدين أنبيائه ، للجنون أنبيائه أيضًا. من المفترض أن تلعب شخصية رسول هذا الدور في هذه الرواية وتوصيل رسالةٍ جديدةٍ لشخصياتٍ أخرى. لهذا السبب يتوق كثيرٌ من الناس إلى مقابلته: "كان الجميع متلهّفًا لرؤية رسول. رسول الجنون إلى الناس" (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٩٤) إن عمل هذا النبي يشبه عمل نيتشه نفسه والأنبياء الآخرين من قبلهما. لأنه يمكنه أيضًا أن يكون فخورًا بنسبه. البيئة التي يعيش فيها - أو المارستان - هي التي ألهمت زرادشت وموسى ومحمدًا وعيسى وأفلاطون وبروتوس وسبينوزا وميرابو. لقد أدرك كل هؤلاء الأنبياء طريقةً جديدةً للحياة. (ياسبرس ، ١٣٨٨ش ، ٢٤- ٧٨) نبي المجانين يحاول أيضًا إظهار الحقيقة للجميع عن طريق أخذ الإلهام من سريره. كما يشير اللبيب إليه: "- قلتُ لكِ رسول ليس سببًا في أيِّ شيء ، أعرف أنَّ الأمر يبدو جنونًا ، لكنّه لم يكن مجنونًا ، شيءٌ ما يجعلني أصدِّقه ، لا أصدّقُ ما يقول ، لكنّي أعرف أنّه غير كاذب! المهم ، دعيني أساعدكِ ، فأنتِ أكثر شجاعة من أبيكِ وسأقدّم لكِ كلَّ ما أستطيع. أخبَرَته بأمرٍ يعقوب ، وعندما سمع ما فعلَه معها ، قال لها: "كيف يزعمون أنَّ الجنونَ جائحةٌ طارئةٌ إذا كان كلُّ هؤلاء التعساء المجانين بيننا على الدوام؟ جديرٌ بهم أن يصنعوا تمثالًا لرسول الذي أخبَرهم حقيقَتهم ، لا أن يُدخلوه المارستان.." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٣٠ و١٣١) هؤلاء الرسل هم أصدق الناس للآخرين ويحذرون من الأخطار التي تهدد الناس على مستوى العالم. ربما تكون الأخطار أكثر تدميرًا من الحروب العالمية. بغض النظر عن الدين والمنطقة الجغرافية لمحل إقامتهم وتاريخ بلادهم ، فقد توصل هؤلاء الرسل إلى فهمٍ مشابه نسبيًا. القديس فرنسيس الأسيزي[1] ، مثل نيتشه والجيزاوي ، يرى الجنون على أنه طريقٌ لأسلوب حياةٍ جديدةٍ: "الربُّ قال لي أنّه يُريد أن يجعلَ منّي مجنونًا جديدًا في العالم ، والله لا يريدُ أن يقُودني بغيرِ هذه الطريقة.." (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٣) ربما لهذا السبب يقول نيتشه أيضًا إنَّ المسيحية الحقيقية والأصيلة ستكون ممكنةٌ في جميع الأوقات. لهذا السبب ، يتكرر المثال المنشود باستمرارٍ عبر قرونٍ من التاريخ المسيحي ، على سبيل المثال ، في شخص فرانسيس الأسيزي ، وليس في شكل أولئك الذين كسرت قوتهم بسبب المُثل المسيحية الخاطئة. (ياسبرس ، ١٣٨٨ش ، ٨٥ و٨٦) صحيحٌ أنه في مرحلةٍ ما من التأريخ الأوروبي ، تم استبعاد الكنيسة عمدًا من تنظيم المستشفيات العامة نتيجة تواطئ الملكية والطبقة البرجوازية ، لكن لم يتم القضاء عليها بالكامل (فوكو ، ٢٠٠٦م ، ٧٤) كما هو موضحٌ في الرواية: "أصبح ديميان حديث الرهبان المقيمين بالدير. كلَّ ليلةٍ يجتمعون لمناقشة الأمر ، هل هو مجنونٌ؟ أم هرطقة؟ أم كما يقول الراهب الكبير: اختطفَه "بعلزبول[2]" ، وضلَّلَ قلبه ومحا عقلَه"(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٧٣) نيتشه يعتقد بأن شيوخ اليهود فضلوا "الوجود" على أي صورةٍ ، على "عدم الوجود" وشوهوا الدين اليهودي. بعدهم ، تعاملت

1. Saint Francis of Assisi

(١١٨١-١٢٢٦): هو كان ابن تاجرٍ ايطاليٍ رفض التنعم في الحياة واختار الفقر وبناء الكنائس وصار قديسًا. ذهب إلى مصر لإرشاد الناس ولكنه لم ينجح وقضى نحبه بعد كتابة رسالة "العهد".(انظر: لين ، ٢٠١٠م ، ١٥١-١٥٣)

2. Beelzebub

كأنه كلمةٌ مأخوذةٌ من العبرية بمعنى "رئيس الأغوال أو رئيس الأرواح الخبيثة" في العهد الجديد (يعقوبيان ، ١٣٩٤ش ، ٦٠) ، ما يستخدمه غوته في عمله "فاوست" أيضًا وفي بعض الأحيان يكتب بصورة "بعل الذباب" بمعنى سيد الذباب.

أعضاء الكنيسة مثل هذا بالحق الذي كان مع المسيح. حتى كان هناك مسيحيٌّ واحدٌ فقط الذي مات على الصليب. بهذه الطريقة لا يستخدم نيتشه كلمة "مسيحي" لليسوع (عليه السلام) ، لكنه يستخدمها لأهل الكنيسة ، الذين ينظر إليهم نيتشه بازدراءٍ ، ويوضح الجيزاوي سبب هذا الازدراء في نص الرواية: كيف يفسر أهل الكنيسة كل شيءٍ حسب رأيهم ويمنعون الناس من الوصول إلى الحقيقة (!) لذلك ، فإن المسيحية ، شرط وجودها هو وجود مجتمعٍ ضيقٍ ومحدودٍ ومعزولٍ وسياسيٍ بأثره أو نفس الدَّيْر. (ياسبرس ، ١٣٨٨ش ، ٨٦ و٨٧)

الجنون والسياسة

لحل المشاكل الرئيسية في أي بلدٍ ، الحكومة هي أهم مؤسسة معنية. لأن الناس يواصلون دعمها من أجل حل هذه المشاكل. لكن إذا لم تكن الحكومة فعالةً ، فإنها ستفقد ثقة الناس تدريجيًا: "هنا فقط صدّق الناس ما يقال ، فالحكومةُ أصبحت تحاكم الجنون!" (الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٧) فكما يقول نيتشه: "يندر الجنون عند الأفراد ،- لكنه القاعدة عند الجماعات والأحزاب والأقوام والأجيال." (نيتشه ، ٢٠٠٣م ، ١٢٠) يؤدي عدم ثقة الأفراد تدريجيًا إلى تفرع الناس والتشكيك في السياسيين وسياساتهم ، لأنَّه وفقًا لقول نيتشه ، نظمت الحكومة اللاأخلاق. لهذا ،اللاأخلاق جانبان: الأول - الجانب الداخلي (الشرطة ، القانون الجنائي ، الطبقات ، الأعمال التجارية والأسرة) ، والجانب الخارجي (إرادة القوة ، الحرب ، الفتح والانتقام). (نيتشه ، ١٣٨٣ش ، ٥٥٤) ويصل الأمر إلى نقطة يجد الناس فيها حقوقهم المفقودة ويحاولون استعادتها بأي صورةٍ من الصور: "كثرت المظاهرات في كلِّ ميادين المدن الكبرى تُحمِّلُ النظامَ مسؤوليةَ الجنون. البعض يقول إنَّ هذا الجنون عدوى أطلَقَتها الدولة ليصبحَ لديها شعبٌ من المجانين لا يعلم شيئًا ولا يعترضُ على شيء.. فيردُّ آخرون بأنّه لو كانت عدوى لأصابت الجميع وليس البعضَ دون الآخر.."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٦٣) شيئًا فشيئًا يجد الإنسان أنه يجب أن يتولى زمام حكم الأرض على نطاقٍ واسعٍ ، ويجب أن يحمي علمه المطلق مصير الثقافة في المستقبل بعيونٍ مفتوحةٍ. (ياسبرس ، ١٣٨٣ش ، ٤٣٨) يدرك الرجل أنه وحيدٌ ولا يمكن للحكومة أن تدعمه. ومع ذلك ، فإن الإنسان لا ييأس ولا يفقد المستقبل. يحاول أن يقول للحياة: نعم ، ويقدم خطةً جديدةً قائمةً على الفكرة الجديدة. هو يفكر من جديدٍ ويبنى من جديدٍ مع أن هذا سيعرضه للخطر؛ لأنه قد عَرَّض وجود الحكومات للخطر: "كان المارستان في زمنِ الاستعمار سجنًا ، يتكوَّنُ من ثلاثة طوابق ، طابقٌ فوقَ الأرض لإدارةِ السجن ، وطابقان تحتها بهما زنازين المساجين. لم يكن السجن للمجرمين واللصوص ، إنّما كان فقط لمن يطالبون بالحرّية ويفكّرون أكثرَ ممَّا يجب ، كأنّهم مجانين!!"(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ١٨٩) إنها حقيقةٌ تاريخيةٌ مؤكدةٌ على أن مستشفيات الجذام القديمة تحولت إلى المستشفيات والسجون والمعتقلات في القرن التاسع عشر. بعض المحكومين عليهم لم يكونوا مجانين ، لكنهم كانوا محتجزين مع المجانين. (فوكو ، ٢٠٠٦م ، ٧٧) بعض هؤلاء السجناء كانوا يبحثون فقط عن الحرية: "كان إنشاء مصحات المجانين قرارًا سياسيًا منذ أقدم مصحّةٍ في التاريخ ، فالدولةُ تخشي انتشارَ الجنونِ الحرّ. فحبَسَت هؤلاء على الدوام.. مصحات المجانين هي الحقيقة البشعة التي تفضح جسد السياسة ، فهؤلاء لم يُصبِهم الجنون إلّا لكراهيتهم لهذا العالم الذي يُديره أولئك."(الجيزاوي ، ٢٠١٦م ، ٥٣) لا يزال اللا أخلاق مستمرًا إلى حدٍ ما بواسطة مشاهدة هذه الأمثلة في التاريخ ، من الطبيعي أن الميزة الأكثر وضوحًا لـ "السياسة العظيمة" لنيتشه هي أنه عندما يتحدث عن المشرع ، فهو يقصد الفيلسوف ولا السياسي. (ياسبرس ، ١٣٨٣ش ، ٤٣٤) وهذا ليس غريبًا. لأن نيتشه نفسه يقول: "الدوام يظل يدمّر كلّ من كان عليه أن يكون مبدعًا" (نيتشه ، ٢٠٠٧م ، ١٢١) كما كسر نيتشه الهيكل السياسي منذ البداية حتى يأمل ألا تستمر هذه الأمثلة!

النتيجة

جنون نيتشه في هذه الرواية ، يظهر في البداية على أنه مرضٌ مُعدٍ ، ولكنه في الحقيقة ليس مرضًا ، بل هو أمرٌ إراديٌ ، والمجنون هو الشخص الذي يفكر بشكلٍ مختلفٍ ولا يجعل نفسه أسيرًا للعادات والشؤون الأبولونية المطلقة. لهذا السبب ، ممكن أن يتبعه عددٌ كبيرٌ من الناس ولو يكونوا من المثقفين في المجتمع. بهذه الطريقة لا يقتصر الجنون على أي فئةٍ أو

مجموعةٍ ما. لأن طبيعة هذا الجنون ، أكثر من أي شيءٍ آخر ، هي مواجهة التشوهات والتطرفات الدينية. والمجانينُ يحتاجون إلى مرافقة بعضهم البعض والدفاع عن كيان الجنون من أجل النجاح. الجنون هو الشغف الذي يوسع الإرادة. في الوقت نفسه ، فالجنون ليس مرضًا يعالج من قبل الأطباء أو يوجد له وجهٌ سلبيٌ؛ بل إن الجنون في هذه الرواية يستخدم بمعنىً مختلفٍ عن معناه المتداول ، وعلى هذا الأساس لا يتعارض مع العقل. الجنون ، بينما يدين تشويه الدين ، ولكن له أنبيائه وشخصياته المعروفة مثل شخصيات الدين ، أي أولئك الذين يؤسسون أساليب جديدةً للحياة ويجعلون مجموعاتٍ من الناس على استعدادٍ لاتباع أفكارهم. لا يقتصر الجنون على الأبعاد الفردية ويصل إلى مستوى المؤسسات الاجتماعية-السياسية الأساسية. في النهاية ، يدرك كل إنسانٍ عجز السياسة ويهاجمها. إن الجنون والسياسة في صراعٍ دائمٍ ، ولأن السياسة لا يمكن لها أن تتسامح مع استنارة الجنون ، فإنها تحاول تدميره تماماً: إما أن تحط من قيمته أو تحصره في المارستان. فمن خلال ذلك ، يمكن تفسير العلاقة بين الجنون والمارستان؛ مع أن الجنون مفهومٌ عامٌ ومتعدد الأبعاد ، فإنه يجب أن يظهر أخيراً في ظرفٍ ما ،والمارستان هو ذلك الظرف. ربما يبدو المارستان في هذه الرواية كمكانٍ محدودٍ وصغيرٍ يضم أقليةَ ، لكن يمكن توسيعه ليشمل المجتمع أو العالم بواسطة نشر الجنون. فكما أن الأشخاص المجانين لم يقتصروا على المكان والزمان منذ البداية ، فإن بيئة تكوين وظهور هذا اللامحدود لن تكون محدودةً أيضًا. بصرف النظر عن هذا ، فإن هذه الرواية متأثرةٌ جدًا بتأريخ الجنون والأحداث السياسية-التاريخية خاصةً في أوروبا ، وهي من الأعمال ذات الصلة في هذا المجال ، إضافة إلى ما له الصلة مثل كتاب ميشيل فوكو.

المصادر والمآخذ

اف.اتو ، والتر. (١٣٩٨ش). *ديونيسوس (اسطوره و آيين)* ، ترجمة: عبد الحسين عادل زاده ، د.ط ، د.م: د.ن. (بالفارسية)

الجيزاوي ، محمد. (٢٠١٦م). *المارستان* ، الطبعة الأولى ، مصر: عصير الكتب للنشر والتوزيع. (بالعربية)

رابينسن ، ديو. (١٣٩٠ش). *نـ تشه و مكتب پست مدرن* ، ترجمة: ابوتراب سهراب وفروزان نيكوكار ، الطبعة الرابعة ، طهران: فرزان روز. (بالفارسية)

زكريا ، فؤاد. (٢٠١٧م). *ريتشارد فاجنر* ، د.ط ، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي. (بالعربية)

شفا ، شجاع الدين. (١٣٨٣ش). *افسانه خدايان* ، د.ط ، طهران: نشر دنياي نو. (بالفارسية)

فوكو ، ميشيل. (٢٠٠٦م). *تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي* ، ترجمة: سعيد بنگراد ، الطبعة الأولى ، المغرب: الدار البيضاء. (بالعربية)

كاپلستن ، فريدريك. (١٣٨٨ش). *فردريك نيچه فيلسوف فرهنگ* ، ترجمة: عليرضا بهبهاني و علي اصغر حلبي ، الطبعة الأولى ، طهران: زوار. (بالفارسية)

كريتشلي ، سايمون. (١٣٩١ش). *كتاب فيلسوفان مرده* ، الطبعة الأولى ، طهران: نشر مركز. (بالفارسية)

لين ، توني. (٢٠١٠م). *تاريخ تفكر مسيحى* ، ترجمة: روبرت آسريان ، د.ط ، ايلام: انتشارات ايلام. (بالفارسية)

مك دنيل ، استنلي. (١٣٧٩ش). *فلسفه نيچه* ، د.ط ، عبادان: نشر پرسش. (بالفارسية)

نيتشه ، فريدريك. (١٩٩٦م). *افول الاصنام* ، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي ، الطبعة الأولى ، المغرب: أفريقيا الشرق. (بالعربية)

نيتشه ، فريدريش. (٢٠٠٣م). *ماوراء الخير والشر: تباشير فلسفة للمستقبل* ، الطبعة الأولى ، بيروت: دار الفارابي. (بالعربية)

نيتشه ، فردريش. (١٣٨٣ش). *ارادهٔ قدرت* ، ترجمة: مجيد شريف ، المجلد الثاني ، الطبعة الثالثة ، طهران: جامي. (بالفارسية)

نيتشه ، فريدريك. (٢٠٠٧م). *هكذا تكلم زرادشت* ، ترجمة: علي مصباح ، الطبعة الأولى ، كولونيا- بغداد: منشورات الجمل. (بالعربية)

نيتشه ، فريدريك. (٢٠٠٨م). *مولد التراجيديا* ، ترجمة: شاهر حسن عبيد ، الطبعة الأولى ، اللاذقية: دارالحوار. (بالعربية)

نيتشه ، فريدريتش. (٢٠١٠م). *في جينالوجيا الأخلاق* ، ترجمة: فتحي المسكيني ، الطبعة الأولى ، تونس: دار سيناترا. (بالعربية)

نيتشه ، فريدريش. (٢٠١٤م). *إنساني مفرط في إنسانيته* ، ترجمة: علي مصباح ، الطبعة الأولى ، بيروت: منشورات الجمل. (بالعربية)

هوشنكي ، مجيد. (١٣٩٦ش). نيچه ، مولوي و جنون عقلاء المجانين ، *بخارا* ، العدد ١٢٢ ، صص ٤٣٠- ٤٣٥. (بالفارسية)

هايدگر ، مارتين. (١٣٨٨ش). *نيچه* ، ترجمة: ايرج قانوني ، الطبعة الأولى ، طهران: آگاه. (بالفارسية)

ياسپرس ، كارل. (١٣٨٨ش). *نيچه و مسيحيت* ، ترجمة: عزت الله فولادوند ، الطبعة الأولى ، طهران: سخن. (بالفارسية)

ياسپرس ، كارل. (١٣٨٣ش). *نيچه: درآمدي به فهم فلسفه او* ، ترجمة: سياوش جمادي ، الطبعة الأولى ، طهران: ققنوس. (بالفارسية)

يعقوبيان ، محمدحسن. (١٣٩٤ش). بررسي تطبيقي تصوير شيطان در اديان إلهي ، *معرفت اديان* ، العدد ٢٢ ، صص ٥٧- ٧٤. (بالفارسية)

Reference & Sources

Al-Gizawi, Muhammed. (2016). *Al-maristan*, First edition, Egypt: Book Juice (In Araic).

Copleston, Frederick. (2009*). Friedrich Nietzsche: Philosopher of culture*, translated by Alireza Behbahani and Ali Asghar Halabi, First edition, Tehran: Zavvar. (In Persian).

Critchley, Simon. (2012). *The Book of Dead Philosophers*, First edition, Tehran: Nashre Markaz. (In Persian).

Foucault, Michel. (2006). *History of madness in the classical era*, translated by said bengrad, First edition, Morocco: Al-Bayda. (In Araic).

Heidegger, Martin. (2009). *Nietzsche*, translated by Iraj Ghanooni, First edition, Tehran: Agah. (In Persian).

Hoshangi, Majid. (2017). Nietzsche, Maulavi and the madness of mad intellectuals, *Bukhara*, No. 122, pp. 430-435. (In Persian).

Jaspers, Karl. (1388). *Nietzsche and Christianity*, translated by Ezzat allah Fouladvand, First edition, Tehran: Sokhan. (In Persian).

Jaspers, Karl. (2004). *Nietzsche: An introduction to the understanding of his philosophical activity*, translated by Siavash Jomadi, First edition, Tehran: Qoqnoos. (In Persian).

Lane, Tony. (2010). *A concise history of Christian thought*, translated by Robert Aserian, Elam: Elam. (In Persian).

McDaniel, Stanley. (2000). *The Philosophy of Nietzsche,* Abadan: Porsesh. (In Persian).

Nietzsche, Friedrich. (1996). *Twilight of the idols*, translated by Hassan Borghei and Muhammed Al-Naji, First edition, Morocco: East Africa. (In Araic).

Nietzsche, Friedrich. (2003). *Beyond Good and Evil: prelude to a philosophy of the future*, First edition, Beirut: Al-Farabi. (In Araic).

Nietzsche, Friedrich. (2004). *The Will To Power*, translated by: Majid Sharif, Volume II, third edition, Tehran: Jami. (In Persian).

Nietzsche, Friedrich. (2007). *This is how Zoroaster spoke*, translated by Ali Mesbah, first edition, Cologne-Baghdad: camel publications. (In Araic).

Nietzsche, Friedrich. (2008). *The birth of tragedy*, translated by Shaher Hassan Obaid, First edition, Latakia: Al-Hawar. (In Araic).

Nietzsche, Friedrich. (2010). *On the genealogy of morals*, translated by Fathi Al- Meskini, First edition, Tunisia: Sinatra. (In Araic).

Nietzsche, Friedrich. (2014). *Human, All too Human*, translated by Ali Misbah, First edition, Beirut: al-Jamal. (In Araic).

OTTO, Walter. F. (2019). *Dionysus (myth and Cult)*, translated by Abdolhossein Adelzadeh. (In Persian).

Robinson, Dave. (2011). *Nietzsche and postmodernism*, translated by Abu torab Sohrab and Forouzan Nikoukar, 4th edition, Tehran: Farzan rouz. (In Persian).

Shefa, Shoja Al-ddin. (2003). *The Legend of the Gods*, Tehran: Donyaye nou. (In Persian).

Yaghoubian, Muhammed Hassan. (2015). Comparative study of the image of Satan in divine religious, *Ma'rifat Adyan*, No. 22, pp. 57-74. (In Persian).

Zakaria, Fouad. (2017). *Richard Wagner*, UK: Hindawi CIC Foundation. (In Araic).